التحديات الداخلية للحركة الإسلامية

كان قدر الله تعالى المؤثر والغالب على بروز هاتين الظاهرتين (الجماعات - الصحوة) بتقدير ظروفها وتوقيت نشأتها : {وَرَبُّكَ يَخلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَختَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ} [القصص : 67]. ومع وجود الحركة الإسلامية في شتى أنحاء العالم , وانتشارها , رغم المطاردة والضربات المتلاحقة لها من الأنظمة الحاكمة في أنحاء العالم , ومع ثبات وسرور المخلصين من الإسلاميين ببشائرها , إلا أنه مع ذلك لا زالت تتنكب الطريق , ويعوق مسيرتها كثير من الأخطاء والتقصير والعقبات , مما يجعلنا نلقي الضوء على بعض هذه الملاحظات لعلها تساعد وترشد الفصائل المختلفة , وتصحح المسيرة , وتتجنب العوائق وتسير بخطى ثابتة نحو طريق الله المستقيم :{ وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : 153] . وسنتكلم باختصار عن هذه النقاط إن شاء الله:(1).

- ***البعد عن الخلافات* :**

الاتحاد والائتلاف ونبذ الخلافات بين شباب الصحوة أو مع الجماعة القائمة بعبء الدعوة داخلها وخارجها , يزيد من قوتها ومتانتها ويجعل وصول الأعداء لاقتحام صفوفها والنيل منها أمرًا صعبًا إن لم يكن مستحيلاً , وهو يذلل العقبات - بإذن الله - ويقلل المسافة ويقربها , ومع هذا كله يبارك الله عملها ويزكيه . أما حين يكون الخلاف - والعياذ بالله - فإن ذلك يثير الشحناء ويبعثر الجهد ويعوق السير ويضيع الوقت . إذا كان الخلاف في أصل الدين ويتمسك به صاحبه ويعض عليه بالنواجذ , فيجب الحرص عليه وعدم التخلى عنه أو التزحزح عن جزء ولو يسير منه تحت أي ظرف من الظروف سواء أكان تقليدًا أو متابعة لشيخه , أو مسايرة لجماعته , أو سيرًا وراء انسياق عاطفي مع هذا أو ذاك , ما دام ذلك له سنده وأدلته الشرعية , مع تقواه لله في هذا الموقف بعيدًا عن الهوى .
وعلى الطرفين التعامل بالحسنى , وسعة الصدر مع عرض القضية بهدوء وروية عند كل منهما والمراجعة والرجوع للأدلة الشرعية وكتب السلف , ولا يقف كل منهما موقف الأستاذ من مخالفه الذي يريد منه الانضواء للوائه والرضوخ لما يرى أنه الحق وحده تحت أي حجة من الحجج كأن يدعي أن جماعته أولى بالاتباع لكثرتها أو قدمها أو ماضيها أو شهرتها وكثرة تابعيها .
كل ذلك ليس له وزن يذكر ما لم يكن مدعَّمًا بالدليل الشرعي وآراء السلف المعتمدة , مع محاولة الأخذ بالعزيمة لا بالرخصة أو الترخص .
هذا إذا كان الخلاف في أصل الدين - كما سبق القول - أما إذا كان الخلاف في الفرعيات أو أسلوب الحركة , فهذه يعذر بعضنا بعضا

فيما اختلفنا فيه , يقول الإمام الشهيد حسن البنا -رحمة الله عليه-: "العصبة المؤمنة التي تسعى إلى مرضاة الله , عليها ألا تمكن الشيطان من نفسها , ويدخل الهوى وحظ النفس إليها , وتتجرد في عملها من الأهواء وحب السلطة, والنزعات الفردية,وتقديم النفس على المصلحة"(2) .
"فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد وجهات القيادة والتوجيه وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار , فإذا استسلم الناس لله ورسوله , انتفى السبب الأول الرئيس للنزاع بينهم - مهما اختلفت وجهات النظر - إنما هو الهوى بينهم الذي يجعل كل صاحب وجهة نظر يصر عليها مهما تبين له وجه الحق في غيرها , وإنما هو وضع "الذات" في كفة والحق في كفة , وترجيح الذات على الحق ابتداء"(3) . وما نسمعه كثيرًا من الخلاف على الساحة بين الأفراد والجماعات الإسلامية مما يدمي القلوب , ويحزن النفوس , وهي خلافات قد تكون يسيرة ويمكن التغاضي عنها إذا تخلص الأفراد من الذات والأنا , ونظروا نظرة واقعية إلى المهام التي أمامهم والصعاب التي تواجههم مع أعدائهم والعقبات التي في طريقهم .

2- قلة الدراسة وخطأ التلقي :

أما الخطأ الثاني في ساحة الحركة الإسلامية , والذي يغلب عليه أن يكون بين الشباب , هو تلقي العلم الشرعي من الكتب وحدها دون معلم أو موجه, وما هكذا يؤخذ العلم , خاصة في البداية فلا بد من شيخ أو أستاذ أو مربٍّ , يقوم بالتعليم والإرشاد والشرح , ويبين له ما يتلقاه أولاً بأول حتى لا يقع المتعلم أو الطالب تحت تأثير طبيعته الشخصية كما هو الحال , فيتلقى العلم برأيه ومؤثراته النفسية إن كان متشددًا فيأخذ بالآراء المتشددة التي تتفق مع طبيعته , وإن كان متهاونًا يأخذ بالآراء السهلة , أو كان سريع الغضب فيصدر الأحكام المتسرعة دون تروٍّ وهكذا(4) .
وتكون النتيجة أن تصبح عندنا عشرات الآراء في القضية الواحدة , كل أخذها بمأخذها الذي ذكرت , أو قد يكون تابعًا لجماعة من الجماعات ويتلقى منهجها وحركتها بل ربما عقيدتها , دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن مدى ملاءمة ذلك لشرع الله , ويفترض دائمًا أن الجماعة على الحق الذي لا شك فيه وتتحول المسألة بعد ذلك إلى التعصب والتحزب لأفكارها وتسليم القيادة لها بلا بصيرة .
وجدير بالعاملين في الحقل الإسلامي , خاصة الشباب منهم الاهتمام بالدراسة المنهجية الشرعية القائمة على منهج أهل السنة والجماعة على أيدي شيوخ يثقون في علمهم وورعهم .

3- صغر وتقارب الأعمار :

الأصل في أخلاق الإسلام , وعلاقة المسلمين بعضهم ببعض أن يوقر الصغير الكبير , وأن يعطف الكبير على الصغير , وتكون العلاقة قائمة على الاحترام المتبادل , ولقد كان تنظيم 1965 فيه كثير من الشباب , ولا يوجد لهم منافس أو مناظر إلا النادر على الساحة بحكم الواقع والظروف في ذلك الوقت , ومن ثم كان عندهم الاستعداد الخلقي والنفسي للتلقي ممن هو أكبر منهم سنًّا أو علمًا أو الاثنين معًا , وكان ذلك ييسر الأمر للطرفين .
أما بعد ذلك , وبمعنى أدق السنوات التي أعقبت عام 1967 وإقبال كثير من الشباب والفتيات على الإسلام , وكان الدافع الأصلي عندهم الإخلاص لله , مع قلة العلم والتجارب والخبرات التي تؤهلهم للتصدي للمسئولية, وافتقادهم للقيادة الواعية الحكيمة , ومع تقارب الأعمار والتي كان معظمها دون الثلاثين , ومن دلائل الإخلاص عند هؤلاء بعد ذلك كثرة القراءة وطلب العلم , ولكن بالطريقة التي ذكرناها في البند السابق , ونتج عن ذلك - عند الكثير - النظر لنفسه بأنه أهل للكفاءة والدراية , وأنه أحق من غيره ممن يكافئه في العمر أو دونه , وقد يدخل فيها - والعياذ بالله - الذات والأنا وحب النفس وشهوة السلطة والقيادة , ثم التسلط والتشبث بالرأي مما أدى بالتالي إلى كثرة الجماعات وتعددها واختلافها بدلاً من أن تكون جماعة واحدة , أو جماعات قليلة متعاونة و متفاهمة .
ولا يزيل ذلك - إن شاء الله - إلا إخلاص الوجه والقلب لله أو تقديم المصلحة على الهوى والنفس , والنظر إلى ثقل التبعة وعناء المسئولية وشدة الحرب الضروس التي تحاك من الأعداء على اختلاف أسمائهم ومواقعهم , والخطط والمؤامرات التي توجه منهم إلى أي عمل إسلامي مهما صغر, وأينما كان , {واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} [يوسف:21] .
4- الاستعلاء :
لا شك أن التواضع صفة طيبة , وخلق قويم من أخلاق الإسلام , والاستعلاء خلق ذميم يأباه أصحاب الهمم العالية والنفوس المستقيمة .
والمؤمن لا يستعلى إلا بإيمانه إزاء القيم والتصورات الجاهلية والأعراق الأرضية , وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها خالق الأرض والسماء , {ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:139] .
أما الاستعلاء بين المسلمين بعضهم البعض فهو شيء بغيض في أي صورة من الصور , سواء كان استعلاء بالعلم , أو القوة أو المال أو السبق في الطريق إلى الله , أو الاستعلاء بجماعته أو استعلاء الجماعة على غيرها من الجماعات أو الأفراد , بحيث تكون عقبة أو

حائلاً ومحاربًا لغيرها في خط سيره أو عمله أو رزقه أو مطاردًا هنا وهناك أو محذرًا منه إذا كان يخالف في الرأي أو المنهج أو غيره .

وقد عجبت وأنا أقرأ ما ذكره الأستاذ جمال سلطان في افتتاحية العدد (12) من المنار عن موقف إحدى الجماعات من مجلته , وهو مثال صارخ لما ذكرت وغيره كثير .
منذ سنوات جمعني مع أحد رموز إحدى الجماعات بعض الوقت , وكنت أستفسر منه عن كلام منشور في أحد الكتب لشخص آخر وأستاذ له , فلما انتهيت من الحديث هاج وماج وثار في وجهي قائلاً : من أنت حتى تنتقد فلانًا ؟ لا علمك ولا عمرك ولا تجاربك تبيح لك ذلك دون أن يجيبني على سؤالي , فقلت له : أليس بشرًا يخطئ ويصيب , والذي أعلمه أن الوحي لا يتنزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهذا الأمر شائع للأسف وواقع ملموس على الساحة ويحتاج للتذكرة والتعليم على استقامته , والنهي عن سلوكه الشائك , وحتى تكون العلاقة بين جميع فصائل العمل الإسلامي على قاعدة {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[الفتح : 29] , وتحت ظلال الآية الكريمة {...أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ} [المائدة : 54].
5- التربية وإعداد الأفراد :
التربية الإسلامية تهدف إلى تكوين الشخص المسلم , فتعيد صهره وصياغة شخصيته نحو السعي لإقامة المجتمع الإسلامي الذي يظلله الإسلام بشرعه وسلطانه العادل , وتقوم حياة الناس على المنهج الرباني القويم .
والتربية تحتاج إلى الصبر والأناة من المربِّي , مع العناية والرعاية بالمربَّى , وتحتاج كذلك إلى الجهد والبذل وعدم العجلة ؛ لأن ما وصل إليه المسلمون من ذلٍّ وهوان , وضعف وخذلان وفساد في كل شيء يحتاج إلى جهد ضخم وصبر على طول الطريق.
ومع هذا العبء والعناء , فليس هناك خيار آخر , فلابد من بذل الجهد مع المشقة والعنت , وتقوم الجماعة في حالة وجودها - بهذا العبء مع أفرادها وتهيئ لهم المناخ والجو الذي يساعدهم على ذلك مع التدرج المرحلي للصعود والرقي بخلق الإسلام , وينقلون ذلك لأسرهم ودوائر أقاربهم ومعارفهم .
والتربية الحالية القائمة على العواطف والحماسة لا تقيم أفرادًا بالصورة المرضية , ولا قاعدة صلبة تنوء بحمل المهمة الشاقة , ولا تعد قادة المستقبل , وكذا التربية القائمة على أساس السمع والطاعة العمياء , لا تربي قواعد راسخة متينة وإن كانت تُريح وتُطَمْئِنُ المُوَجهَ , ما دامت أوامره منفذة , وتعليماته مطاعة بلا مناقشة أو اعتراض أو حتى استفسار , ولا يتعلم المربَّى كيف يعالج أموره أو يعتمد على نفسه أو تكون عنده الشخصية الذاتية ,

وللأسف فالواقع يشهد بذلك ولا يتربى أشخاص يكونون عمدًا ورواداً للمستقبل.

6- القيادة والجماعة :

العمل الفردي قد يؤتي بعض الثمار , ولكن العمل الجماعي يأتي بنتائج أفضل بكثير من العمل الفردي , وما مملكة النحل في تنظيمها وتعاونها ودقتها إلا صورة مثالية للعمل الجماعي الذي يباركه الله تعالى . والجماعة في الإسلام لها أهميتها ووضعها الكبير , فهي العروة الوثقى التي ببقائها تحافظ على الإسلام , وبنقضها تنفرط عرى الإسلام - "عليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد , وهو من الاثنين أبعد , من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة" [رواه الترمذي] .
وعند النظر أو تقييم جماعة من الجماعات , فيستوثق من انضباطها على عقيدة منهج أهل السنة والجماعة , ولا يغرنك شجاعة وحماسة شبابها, أو شهرتها وكثرتها أو قدمها , كل هذه الأمور وغيرها لا عبرة لها في الميزان الشرعي الدقيق.

وفي حالة غياب القيادة الواعية المؤهلة لحمل العبء تقوم قيادات وكيانات صغيرة متناحرة متنافرة يعتز كل فريق برأيه وموقفه, وحب السيطرة, ويحدث التنابذ والشقاق .

والجماعة إن وجدت تتطلب قيادة واعية حكيمة متمرسة , تدير أمورها بحنكة ودراية بما حولها من الأصدقاء والأعداء , وتعرف موقع أقدامها , وأين تخطو خطواتها , فتأخذ بأيدي أفرادها وتوجههم الوجهة السليمة وتضع كل فرد في مكانه المناسب , وتستفيد من الطاقات التي لديها .
ويساعد القيادة على أداء مهمتها أن تكون محببة وترتاح إليها النفوس وتتبعها طائفة مختارة , يدافع الحب والتوقير والاحترام .
ولكن يعقد الأمر ويعوق المسيرة أو يوقفها عند ظهور أحد القادة أو شخص ذي مؤهلات قيادية , أن يقوم أعداء الحركة الإسلامية بالخلاص منه(5).
وخلاصة القول فإن القيادة التي تأخذ الأسوة الحسنة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتطبق المنهج النبوي في العقيدة وفي الحركة فهمًا ومقتضًى , سيلتئم بها الشمل , وتزال على يديها - بإذن الله - الغربة الثانية للإسلام : "فطوبى للغرباء يصلحون ما أفسد الناس من سنتي" [رواه الترمذي] .
وهكذا "ومنذ اليوم الأول للدعوة قام مجتمع إسلامي - أو جماعة مسلمة - ذات قيادة مطاعة هي قيادة رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - وذات التزامات جماعية بين أفرادها , وذات كيان يميزها عن سائر الجماعات حولها , وذات آداب تتعلق بضمير الإنسان مراعى فيها - في الوقت ذاته - حياة هذه الجماعة - وذلك كله قبل أن تقوم الدولة المسلمة في المدينة , بل إن قيام تلك الجماعة كان هو وسيلة إقامة الدولة في المدينة"(6).

وعلى قادة الجماعة - عند وجودها - أن يكونوا في سعة صدر بحيث يستمعون إلى كل نصيحة ويضعونها موضع الاعتبار عندهم , حتى يتجدد شباب الجماعة دائمًا , ولا تكون جامدة على ما مضى من حياتها , بل ولا تصحح مسيرتها إلى الأفضل الذي يزكي العمل وينميه .

7- بناء العقيدة:(7)

هذه هي النقطة الأخيرة في الموضوع , وهي وإن كانت أهم نقطة في الموضوع , إلا أننا أرجأناها حتى نقول إنه كي يأخذ كل ما ذكرناه قدره , ويكون له التأثير الفعال , والنتيجة المرجوة بإذن الله , لابد أن يرتبط ويتركز على أساس العقيدة النقية الصافية الواضحة , كما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وربَّى عليها أصحابه.

ذلك أن العقيدة(8) هي الأساس في الإسلام , وهي رابطة التجمع التي تربط المسلمين , وبها يستقيم العمل ويصلح , لذا يجب البدء بها في الدعوة وفي مراحل التربية , وربط كل أمر وخلق أو تشريع بها دون إهمال الجوانب الأخرى .

والقرآن الكريم ـ وهو المصدر الأول في بناء العقيدة ـ استمر ثلاث عشرة سنة يربي جيل الصحابة الكرام بها , وعلى يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باعتبارها الأساس الذي يتربى عليه ذلك الجيل الفريد , حتى تحرر من سلطان العبودية والشهوات , وتطهرت النفوس والأخلاق, وزكت القلوب والأرواح على أساس هذه العقيدة التي استقرت في أعماقهم .

فالعقيدة يدعو إليها الدعاة ابتداء , ومعها يقومون بالتربية , وعليها يجب أن يقوم البناء الفردي والأسري والجماعي ثم الدولة , أي هي ملازمة لكل الفترات والمراحل مع التركيز والاهتمام بها في المرحلة الأولى من التربية .

فهي لا تذكر لفترة من الفترات , أو مرحلة من المراحل ثم تنتقل لغيرها , إنما تذكر وتفهم وتعمق في النفوس , ثم تنتقل إلى ما

بعدها معه , ملازمة لأي وقت وأي موضوع وأي مرحلة من المراحل , يذكر بها المؤمنون .

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ} [محمد:19] .

{يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا آمِنُوا} [النساء:136]

ويُدعى إليها أهل الكتاب :

{ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ولا يَتَّخذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [آل عمران : 64].

وكذلك المشركون :

{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:59] .

فصاحب العقيدة يصبر على الإيذاء ويحتسبه عند الله , وعليه يتوكل ومنه يستمد العون والمدد , لا ترهبه قوة الأعداء مهما كانت , وينظر إليهم نظرة المعتز بدينه , المتعالي عليهم بإيمانه : {ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران : 139] .

حتى لو كان في قبضتهم , أو في فترة الاستضعاف . فأصحاب العقائد لا تؤثر في إيمانهم الضغوط البدنية والنفسية التي تمارس عليهم , وقد أشار إلى هذه الحقيقة صلاح نصر (الذي هلك) مدير المخابرات العامة في عهد عبد الناصر في كتابه "الحرب النفسية" الجزء الثاني .

ومن هنا واقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعًا لخط السلف في التربية , لابد أن تكون على أساس العقيدة كما أسلفنا , ولا يلتف أو يقتدى بمن يأخذ بالفرعيات أو بعض الجوانب من هذا الدين وترك ما هو أهم وأعظم منها , كما هو الحال حاليًا عند بعض الأفراد أو الجماعات أو الجمعيات .

وأخيرًا وليس آخرًا لعلنا قد وفقنا لإلقاء الضوء على بعض الجوانب , وإبراز جوهرها وأهميتها , وتبيان الخطأ أو القصور أو التقصير في معالجتها .

ويزداد الصواب بإذن الله وينمو , وتجتنب الأخطاء والمثالب حتى تسير القافلة إلى بر الأمان بتوفيق من الله تعالى .

الهوامش :

1- أحمد عبد المجيد : الإخوان وعبد الناصر ص 381 - الناشر : الزهراء للإعلام العربي .

2- يراجع بند التجرد من رسالة التعاليم للإمام الشهيد حسن البنا .

3- في ظلال القرآن ج 1 ص 1528 .

4- يراجع كتاب "التعالم" لفضيلة الشيخ بكر أبو زيد عضو اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

5- مثل مقتل الإمام الشهيد حسن البنا عام 1949 , والشهداء عبد القادر عوده , محمد فرغلي , يوسف طلعت , وإبراهيم الطيب عام 1955 , والشهداء الثلاثة : سيد قطب , محمد هواش , وعبد الفتاح إسماعيل عام 1966 , وكمال السنانيري عام 1981 , والمهندس الشاب فاروق المنشاوي عام 1968 , والشيخ عبد الله عزام عام 1989 , رحمهم الله جميعًا.

6- في ظلال القرآن جـ 28 من القرآن , ص 3553 .

7- راجع في هذا الموضوع : - العبودية , الإيمان لابن تيمية . - التوحيد - لمحمد بن عبد الوهاب . - خصائص التصور الإسلامي باب التوحيد .. سيد قطب - مقومات التصور الإسلامي باب ألوهية وعبودية. سيد قطب . - المصطلحات الأربعة - ركائز الإيمان - محمد قطب - أبو الأعلى المودودي .